

أدبيات الخط والتفسير في التراث العربي

أ. لبيسر سمراء جامعة المسيلة الجزائرية

خطة البحث

تمهيد

I. الأدبيات العامة في الخط والتفسير في التراث العربي

1- مقدمة ابن خلدون

2- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي

II. الأدبيات الخاصة في الخط والتفسير في التراث العربي

1- عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب للمعز بن باديس الصنهاجي

2- المخترع في فنون من الصنع" للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول

3- صناعة تفسير الكتب وحل الذهب للفقير أبي العباس بن محمد السفياي

4- التيسير في صناعة التفسير للشيخ بكر بن إبراهيم الاشيلي

5- تدبير السفير في صناعة التفسير أبي حميدة.

6- زينة الكتابة" لفخر الدين الرازي

III. أهم النتائج المستخلصة

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص المداخلة الموسومة ب:

أدبيات الخط والتفسير في التراث العربي

التراث هو ذاكرة الأمة وهو أحد مقومات الحضارة فيها لذا وجب الاهتمام بهذا التراث وحفظه، ودراسة المخطوطات هي جزء من تراث الأمة سواء من حيث محتواها (النص ومضمونه) أو من حيث شكلها (الجانب المادي للمخطوط)، إلا أن الواقع يشير إلى أن جل الدراسات الخاصة بالمخطوط العربي اليوم تركز وتعنى بالبحث في متون المخطوطات أي دراستها دراسة فيلولوجية مقتصرة على المضمون وما يقدمه من مادة علمية، أما الجانب المادي لهذه المخططات باعتبارها وثيقة أثرية حضارية، لم يلق بعد ما يناسبه من عناية واهتمام بالرغم من أن الغرب قطعوا في هذا المجال أشواطاً كبيرة منذ نشأة هذا العلم "الكوديكولوجيا" الذي يعنى بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط ممثلة في الورق والحبر والمدا والتهذيب والتجليد نوعية الخط... الخ وكل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي الذي كتبه المؤلف. والحقيقة أن هذا العلم وإن كان حديث النشأة عند الغرب (ظهر في فرنسا) خلال العقدين الثالث والرابع من ق 15) فإن العرب كانوا على دراية به وبأهميته منذ القدم وتحديدًا مع بداية تدوين القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ق7م، لأن الحضارة الإسلامية ازدهرت في عهد لم تكن الطباعة معروفة وبالتالي اعتمد في ازدهارها على الخط والخطاطين وبدأ الاهتمام بالكتابة باعتبارها حاملة للنصوص المقدسة (قرآن، حديث) ولما أنتجه العقل العربي من مصنفات.

ولذلك عدّها السلف الصالح من العلماء والمكفرين "صناعة" من أشرف الصناعات، وجعلوها في أعلى المراتب، وأفردوا في حقها كتباً ومجلدات كما هو الحال "في الصناعتين" لابن قتيبة ويعني بها: "الكتابة والشعر".

كما يذكر ابن خلدون في مقدمته بأن الخط من إعداد الصنائع الإنسانية فيقول: "... وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان، وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدّى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضى الحاجات، وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه في علومهم وأخبارهم فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع، وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم، وعلى قدر

الإجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك، تكون جودة الخط في المدينة إذ هو من جملة الصنائع¹، كما ينوه القلقشندي في مقدمة كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء إلى أهمية هذه الصناعة "الكتابة" وجعلها من أشرف الصنائع، وأفضل المآثر، لا سيما كتابة الإنشاء.

"تسر مجانيها إذا ما جنى الضما وتروي مجاريها إذا بخل القطر. وأعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه واعتمدها من وافر كرمه وافضاله فقال عز اسمه "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" مع ما يروي أن هذه الآية مفتتح الوحي وأول التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسل (ص) وفي ذلك من الإهتمام بشأنها، ورفعة محلها بالإخفاء فيها ثم يبين شرفها بأنوظف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلت قدرته " وإنا عليكم لحافظين كراما كاتبين"² من هذا المنطلق كان توجه القدامى إلى العناية بصناعة المخطوطات وطريقة تفسيرها، فأشار إليها بعضهم في مؤلفاته، وخصها البعض الآخر، بكتب مستقلة.

وعليه يمكننا تقسيم، الأدبيات الخاصة بهذه الصناعة إلى قسمين، أدبيات عامة (وهي الأدبيات التي تتضمن إشارات وفصول في هذه الصناعة، وأدبيات خاصة: (وهي الأدبيات المتخصصة في الحديث عن هذه الصناعة) .

فمن الأدبيات والمصادر العامة التي تناولت الحديث عن صناعة المخطوطات ما أورده ابن خلدون في مقدمته التي تضمنت فصلا كاملا (الفصل الثلاثون) في الحديث عن صناعة الوراقة. يجعل ابن خلدون الكتابة والخط صناعة تابعة للعمران فيقول: "ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقا لاستحكام الصناعة فيها، كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد وأن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما في وضع كل حرف³ ويضيف قائلا: "وقد كان الخط العربي بالغا مبالغة من الأحكام والإتقان والجودة في دولة التابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري"⁴.

ويستكر ابن خلدون نسبة كمال الخط إلى قبيلة من القبائل ويجعله من جملة من الصنائع المدينة المعاشية" والعمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلق، إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالة على ما في النفوس⁵

جامعة البلقاء نمبر المخطوطات مجلة التراث عرو خاص بالملتقى الدولي الثاني 2013 ج 1

ويستشهد على ذلك بأن النبي (ص) كان أميا لا يكتب وأن الصحابة حين رسموا المصحف بخطوطهم كانت غير مستحكمة في الاجادة , ثم "جاء الملك وحكمو الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واجتاحت الدولة إلى الكتابة واستعملوا الخط وطلبو صناعته , وتعلموه , وتداولوه فترقت الاجادة فيه , واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان إلا أنها كانت دون الغاية , والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد⁶

تم توالي التطور في الخطوط وترقيتها باتساع الممالك والأقطار الإسلامية من فتح إفريقية والأندلس فظهر الخط البغدادي , الخط الكوفي , الخط الإفريقي , والخط الاندلسي .

ويبدو أن هذه الصناعة لم تقتصر على اهتمام الكتاب فحسب , بل عني بها الشعراء , فنظموا في حقها أحسن القصائد , وقد أورد لنا ابن خلدون قصيدة للأستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابن الباب يذكر فيها صناعة الخط⁷

يا من يريد إجادة التحرير ويروم حسن الخط والتصوير
أعدد من الأقلام كل مثقف صلب يصوغ صناعة التحرير
وإذا عمدت لبريه فتوخه عند القياس بأوسط التقدير
وألق دواتك بالدخان مدبرا بالخل أو بالحصرم المعصور
وأصف إليه معرة قد صولت مع أصفر الزرنيج والكافور
حتى إذا خمرت فاعمد إلى الورق النقي الناعم المنجور
فاكسبه بعد القطع بالمعصارعني ينأى عن التشعيث والتغيير
فاشكر إلهك واتبع رضوانه إن الإله يجيب كل شكور
وارغب لكفك أن تخط بناهما خيرا تخلفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاه غدا عند الشقاء كتابه المنشور
وينتقل ابن خلدون في الفصل الحادي والثلاثون إلى الحديث عن صناعة الوراقة فيقول: " كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات , في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط , ويرجع العامل في ذلك إلى ضخامة الدولة وتوابع الحضارة ... فكثرت التأليف العلمية والدواوين وحرص

جامعة الجلفة نمبر المخطوطات مجلة التراث عرو خاص بالملتقى الدولي الثاني 2013 ج 1

الناس على تناقلها في الأفاق والأمصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين لانتساخت والتجليد وسائر الأمور الكتبية "8, ويذكر ابن خلدون بأن الكتابة في بادئ الأمر (الصكوك والرسائل السلطانية) كانت على الرقوق المهيأة من الجلد وذلك لقلة ما كان يكتب في ذلك الوقت، ثم اتسع مجال التأليف، وكثر الترسل فضايق الرق عن ذلك، ولذلك أشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد لينتشر بعد ذلك في الناس والسلطين وبلغ من الجودة في الصناعة امرا عظيما.

ثم يذكر لنا: " أن عناية أهل العلوم انتقلت بعد ذلك إلى ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة إلى مؤلفيها، وإسناد الأقوال إلى قائلها، وإسناد المتون إلى أصولها، وكان من ثمة هذه العملة هي معرفة صحيح الأحاديث وحسنها من موضوعها، فظهرت بذلك تلك الأمهات الحديثة من كتب الفقه والحديث " ولهذا نجد الدواوين المنسوخة لذلك العهد في أقطارهم على غاية من الإتقان والإحكام والصحة منها لهذا العهد بأيدي الناس في العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك، وأهل الأفاق يتناقلونها إلى الآن ويشدون عليها يد الصناعة "9

ويأتي كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء "، والذي يعد أضخم موسوعة وصلتنا في أدب الإنشاء ومراسلات الملوك، تقع مطبوعته في زهاء تسعة آلاف صفحة في أربعة عشر مجلدا، طبع لأول مرة سنة 1910م أودع فيه القلقشندي القاهري (ت831هـ) أهم وثائق ديوان الإنشاء لمصر حيث تولى رئاسة مصر في مطلع ق9 م، كما ضمنه العديد من رسائله الأدبية كرسالة المفاخرة بين العلوم في (ج14) وقسمه إضافة إلى المقدمة والخاتمة إلى عشرة مقالات، جعل المقالة الأولى في الكتابة وتاريخ ديوان الإنشاء، المقالة الرابعة وهي أهم مقالات الكتاب وأضخمها إذ تضم مصطلحات المكاتبات الدائرة بين ملوك الشرق والغرب منذ بداية الإسلام مع فهرس معجمي لألقاب الملوك وأرباب المناصب، أما المقالة الثالثة فقد جعلها في ذكر الكنى والألقاب ومقادير قطع الورق وما يناسبها من الأقلام، والبياض الذي يراعيه الكاتب كما تحدث في التاسعة عن قول الكتابة التي لها علاقة بالإنشاء (المقالات، الهزليات، الرسائل) وفي العاشرة عن فنون الكتابة التي لا علاقة بالإنشاء (كالبريد وتاريخه، الحمام الزاجل ومطاراته، الثلج وطرق حصله... إلخ

ينوه القلقشندي في مقدمة ج1 من الكتاب إلى أهمية صناعة الكتابة وعلو مرتبتها مستشهدا على ذلك بما ورد في الكتاب والسنة، وكلام العرب وأقوال السلف الصالح في مدح الكتابة والحث

عليها، ولذلك أقسم الله عز وجل بها، كما أنها صنعة فضيلة حرص الملوك والسلاطين على تعلمها وإجادتها "قال الجاحظ "ومن أبين فضلها أن جعلت في عليية الناس"⁹

كما يعظم من شأن أصحاب هذه الصنعة فيقول: " وإذا كانت الكتابة من بين سائر الصناعات بهذه الرتبة الشريفة، والذروة المنيفة، كان الكتاب كذلك" من بين سائر الناس، قال الزبير بن بكار: الكتاب ملوك، وسائر الناس سوقة"¹⁰ ولقد خص القلقشندي الجزء الثاني من المقالة الأولى، فيما يحتاج إليه الكتاب من الأمور العلمية، وهو الخط وتوابعه ولواحقه، وفيه فصلان، الفصل الأول في ذكر آلات الخط ومبادئه وصوره وأشكاله وما ينخرط في سلك ذلك وفيه ثلاث أطراف.

1-الطرف الأول: وقد جعله في الدواة وآلاتها، وقد أفاض في الحديث عن فضلها، وجعلها المقصودة بقوله تعالى في سورة القلم، على أن المراد بالنون في هذه الآية هي الدواة، وهي أم آلات الكتابة، وسمطها الجامع لها، ولا يخفى ما يجب الإهتمام بأمرها والإحتفال بشأنها"¹¹

أما بالنسبة لمواد صنعها فقد نصح بضرورة" أن يتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمنا كالآبنوس، والسياسم، والصندل، وهذا اعتمادا منه على ما مكان يعتاده أهل زمانه.... وقد غلب على الكتاب من أهل الإنشاء وكتاب الأموال اتخاذ الدوي من النحاس الأصفر، والفولاذ وتغالوا في أثمائها وبالغوا في تحسينها"¹²

وعموما كما يذكر الكاتب-فقد كانت الدوي المصنوعة من النحاس هي الأكثر استعمالا، أما الدوي المصنوعة من الخشب فقد تركت في زمان الكاتب ماعدا تلك الدوي المصنوعة من الآبنوس، والصندل الأحمر فإنه بقي مستخدم لدى القضاة خاصة .

ويطنب القلقشندي في وصف الدوي حتى أنه يذكر لنا تحليلتها (الزخرفة-الزينة) وكيف ينبغي أن تكون طريقها، كما يصف لنا قدرها فيقول " سبيل الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، لا بالقصيرة فتقصر أقلامها، وتقبح ولا بالكثيفة فيثقل محلها فتعجف، فلا بد لصاحبها أن يحملها ويضعها بين يدي ملكه أو أميره في أوقات مخصوصة.... ويكون طولها بمقدار عظم الذراع، أو فويق ذلك بقليل

13

بل ويذكر لنا الكاتب هيئتها التي تنوعت بين التدوير، والتربيع، والإستطالة وما مدى مناسبة كل شكل من هاته الأشكال لبعض أنواع الكتابة دون غيرها ثم ينصح الكتاب بالإجتهد في تحسين الدواة وتجويدها مستشهدا بقول الشاعر:

جامعة الجلفة - منبر المخطوطات - مجلة التراث - عدد خاص بالملتقى الدولي الثاني 2013 ج 1

جود دواتك واجتهد في إن الدوى خزائن

صونها ** الآداب

بل وكانت هذه الألة من الأمور التي شدت انتباه الشعراء فتغزلوا بجمالها، يقول أبو الطيب عبد الرحمن بن أحمد :

لم أر سوداء قبلها نواظر الخلق
ملكت ** والقلوب معا

لا الطول أزرى بها ولا لكن أتت للوصول
قصر ** مجتمعا

فوقك جنح من وبارق بائئلافها
الظلام بها ** لمعا

حذاها لدر بها تنظمه يروق في الحسن
** كلمن سمعا

كذلك يشير القلقشندي في معرض حديثه عن الدواة، إلى المحيرة التي كان يكتب بها القرآن الكريم والحديث والعلم وبأن هناك من استحسها لحفتها، وهناك من يستقبحها ويتشاءم منها، يمضي بعد ذلك في ذكر بعض الآلات التي تشتمل عليها وأولى تلك الآلات هو: "المزبر" وهو القلم أخذ له من قوله زبرت الكتاب، إذا أتقنت كتابته ومنه سميت الكتب زبرا، في قوله تعالى: "وإنه لفي زبر الأولين" 16

وقد فصل في الحديث عن مكانته، وضرورته في الخلق لذلك أقسم به الله تعالى في سورة القلم: "نون والقلم وما يسطرون" وعن ابن عباس قال: "أول ما خلق الله اليراع، وهو القصب المثقب، فقال أكتب قضائي في خلقي إلى يوم القيامة" 17

وإذا كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأعلامها رتبة، فإن القلم هو أشرف آلات هذه الصناعة، لأنه المباشر للكتابة دون غيره، من الآلات التي تعد بمثابة الأعوان له. "ولله أبو الفتح البستي حيث يقول 18

إذا أقسم الأبطال يوما وسيفهم
وعدوه مما يكسب الجحد والكرم **

كفى قلم الكتاب عزاً مدى الدهر أن الله أقسم

ورفعة ** بالقلم

ومن المصادر الخاصة في صناعة المخطوط والتي حفظها لنا التراث العربي في الحديث عن هذه الصناعة، كتاب "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" وهو أحد أشهر المصادر التي اعتنت بتفسير المخطوط العربي، بمختلف أركانها وتفصيلها ولذلك يعد من أهم مصادر الفن في الثقافة الإسلامية، وهو أحد المؤلفات القيمة في صناعة وتزويق الكتب في الحضارة الإسلامية لتضمنه حالات أقلام الخط، وترتيب وتجليد الكتب ومنه أخذ الأوربيون بعضاً من خبراتهم في فن التجليد وقد وصفه صاحبه بما يلي: "وبعد فإني جمعت في هذا الكتاب المسمى: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، ما لا غنى للكتاب عنه مما لا بد منه مما يتعلق بالكتابة في الصنائع، وما يحتاج إليه الكاتب من البدائع والغرائب مما جربته وانتخبته وامتحنته مما لا يسع الكاتب تركه وإهماله، بل تكمل الكتابة بتعليمه وإتقانه، وقسمته إلى خمسة عشر باباً، كل باب يشمل على فصول وأنواع وطرائق ووجوه ونكتة عجيبة ونفيسة غريبة، يسهل على طالب فن من الفنون استخراجها من بابها من غير تعب ولا مساس نصب، والله تعالى الموفق وهو المسؤول لبلوغ المأمول"¹⁹

ورغم اختلاف الباحثين في نسبة هذا الكتاب إلا أنهم رجحوا للمعز بن باديس وقد ذكر ابن خلكان الاسم الكامل للمؤلف بالشكل التالي: المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، وقال في حقه "وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة، وسير له تشريفاً وسجلاً يتضمن اللقب المذكور وذلك في ذي الحجة سنة 407، وكان ملكاً جليلاً عالي المهمة، محباً لأهل العلم كثير العطاء، وكان واسطة عقد بينه"²⁰

لقد كام المعز بن باديس من الحكام الأدباء ومربياً فاضلاً فعلى زمان حكمه كرم الشعراء والأدباء مما كان سبباً في بروز شخصيات أدبية راقية المستوى من مثل ابن رشيق القيرواني في مؤلفه العمدة، والذي حظي بقسط وافر من اهتمام المعز بن باديس قاضياً معه أغلب الأوقات.

ولد المعز بن باديس يوم الخميس من جمادي الأولى سنة 398 أو 399 هـ في المنصورة التابعة لإفريقيا، والتي اشتهرت قديماً باسم (صبرة) توفي في القيروان سنة 454 أو 455 هـ، بمرض ألم بكبدته، وقد رثاه ابن رشيق قائلًا:²¹

لكل حي وإن طال المدى هلك لا عز مملكة يبقى ولا ملك

**

ولى المعز على أعقابه فرمى أو كاد ينهد من أركانه الفلك

**

مضى فقيدا وأبقى في خزائنه هام الملوك وما أدراك ما ملكوا

**

ما كان إلا حساما سله قدر على الذين بغوا في الارض

** وانهمكوا

كأنه لم يخض للموت بحر وغي خضر البحار، إذا قيست به

** برك

ولم يجد بقناطير مقنطرة قد أرخت باسمه ابريزها

** السكك

روح المعز وروع الشمس قد قبضا فانظر بأي ضياء يصعد

** الفلك

اعتنى المعز بن باديس بجميع ما يخص صناعة المخطوط، وذكر كل تفاصيلها كصفة انتخاب الأقلام الجيدة، واختيارها، واختلاف بريها على أجناس الخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها في الرقة والغلط والتبطين والطول والقصر، يقول " والأقلام إذا كانت مستوية جاء الخط قبيحا غيرمليح وإذا كانت محرفة جاء الخط ضعيفا ضاويا، فأحسنها وأجمعها اخصال الجودة المتوسط بين الطول والقصر، والرقة والغلط، والتحريف والإستواء والمتبطن أشبه بخط الورق والدفاتر بالخبر، وأما غيرهما فلا يحتمل ذلك" 22

ومن الكتب كذلك الرائدة في مجال صناعة المخطوط في تراثنا العربي كتاب " المخترع في فنون من الصنع " للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت 694هـ / 1294م) ، حيث يعتبر هذا الكتاب من أندر كتب الصناعات في التراث العربي الإسلامي وذلك لخوضه في جملة من الصناعات التي كانت متداولة في القديم ، اثبت مؤلفه أن العرب لم يهتموا فقط بالعلوم النظرية ولم يقصروا كل جهودهم عليها ، بل كان لهم اهتمام ودراية بالعلوم التطبيقية والتكنولوجيا ، يقع الكتاب في 280 صفحة ويتكون من عشرة فصول تناولت الفصول الستة الأولى وجزء من الفصل السابع

جامعة الجلفة منبر المخطوطات مجلة التراث عدد خاص بالملتقى الدولي الثاني 2013 ج 1

الحديث عن " صناعة الكتاب " وما يتعلق بها من حيث نوعية الأقلام ، وجودتها ، وكيفية بريها ، ووسائل البري من السكاكين الخاصة ، كما عرض لطريقة صنع الحبر وما يتعلق به ، وكل أنواع الأصباغ وطرق تحضيرها ، كما أبدع المصنف في شرح طريقة حل الذهب والفضة وكيفية لصقها على الكتاب كما تحدث عن مواد الكتابة السرية وعن المواد التي تستعمل في نحو الكتابة وعن عملية تجليد الكتب.

لنتناول في الفصول المتبقية أنواعا من الصناعات التي كانت رائجة في زمانه وكان للعرب اهتمام بها كصناعة الأسلحة ، وهندسة أنواع المجانيق ، أو كصناعة الثياب والملابس وعرضه لكيفية تنظيفها بالبخار ، وقصرها وصبغها بالطرق المختلفة ، وكذلك تناول بعض الصناعات المنزلية ، وهنا تكمن أهمية وقيمة هذا المخطوط الذي حوى جزءا مهما من ذاكرة وتراث الأمة العربية في مختلف الصناعات.

وقد نسب جل المؤرخون هذا الكتاب " للملك المظفر " وهو يوسف بن عمر بن علي بن رسول من بني غسان (التركمان) ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن تولى الملك بعد مقتل والده سنة (647هـ / 1249م) ثار عليه أخوه المؤيد فقابل ثورته بالحزم مستعينا بالقبائل العربية حتى نجح في السيطرة على الجند وإخماد الفتن والاضطرابات التي عصفت بدولته ، حتى تمكن سنة 652 هـ / 1254م من مد سيطرته إلى مكة ، ووصف بحسن السيرة والتعفف عن أموال الرعايا ، وكان يشبه بمعاوية بن أبي سفيان في حزمه وتديبه .

كما كان شديد الاهتمام بالأماكن المقدسة حيث يروى أنه كان يعتني بكسوة الكعبة المكرمة، وجدد رخامها، وقد أثبت ذلك على الألواح الداخلية فسجل على لوح رخامي ما يلي: أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم العبد الفقير إلى رحمة ربه ، وأنعمه يوسف بن علي بن رسول، "اللهم أيده بعزیز نصرک، واغفر له ذنوبه برحمتک یا کریم یا غفار " ²³

كما يذكر أغلب مؤرخوا العصر على اشتغال الملك المظفر بمختلف العلوم وبأنه كان يأخذ من كل علم بنصيب حتى عرف كذلك كطبيب، وكمحقق حيث يروي أنه كان دؤوبا على البحث شديد التحرير والاستقصاء فقد روي أنه اطلع على جزء من تفسير القرآن لفخر الدين الرازي فوجد فيه نقصا لم يطمئن اليه فأعاد مطالعة التفسير من أوله إلى آخره مطالعة محققة فرأى فيه نقصانا كبيرا فقابله على أربع نسخ كان يملكها تاج بن الأعز قاضي قضاة ديار المصرية بعد أن أرسل في استعارتها

منه فرأى فيها النقص على حاله واعتقد المظفر بأن النقصان من الناسخ فأرسل قاصدا إلى خرسان
24

كما ذكر بأنه اعتاد ابتعاث الرسل إلى خارج اليمن لتأتيه بكل نادرة في العلوم والفنون
ويلاحظ بأن المؤلف قد اعتمد بشكل ملحوظ في كتابه هذا خاصة فيما يتعلق بصناعة الكتابة على
كتاب المعز بن باديس "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" من ذلك قوله في صفة الأقلام الجيدة "
والأقلام إذا كانت مسنونة جاء الخط ضعيفا غير مليح، وإذا كانت محرفة جاء الخط ضعيفا ضاويا
وأحسنها وأجملها لخصال الجودة المتوسطة بين الطول والقصر والرقه والغلظ والتحريف والاستواء
والخرف والمبطن أشبه بخط الورق والدفاتر بالخبر فأما غيرها فلا يحمل ذلك" ²⁵. وفي صفة سكين
البري فيقول: "ينبغي أن تكون سكين البري من أجود ما يكون من الحديد وأحده وأعتقه، فائق
الجودة، ويكون وسطها أرق من صدرها لأنها ان كانت على ما وصفت لك، تمكن باري القلم من
بريه ونحته برقة" ²⁶

كما يطنب في وصف الأمد، ومنها الكوفية، ومنها الفارسية ومنها العراقية ولكل منها
طريقة ومادة صنعها، بل وهناك من الأمد ما يضع خصيصا للملوك، كذلك نجده يذكر لنا طرائق
عديدة في حل الذهب منها قوله: "تأخذ من الذهب ما شئت وتلقي مثله مرتين زئبقا حيا وتسحقه
سحقا ناعما، وتقربه من النار، فهو يلزم بعضه بعضا حتى يكون جسما واحدا ثم تتركه يجف قرب
النار، وبعد أن يجف تجعل عليه مثله مرتين زئبقا تسحقه سحقا ناعما حتى يكون الزبيق الجميع،
وترجعه على النار ثانية أيضا على نار ضعيفة لينة حتى يجف وتجعل عليه دسنا لا زيادة وتسحقه حتى
يكون مثل الذهب المداد الجاري ويكتب به والله الهادي" ²⁷

كما يذكر لنا حيلة في أسرار الكتابة كأن "يؤخذ الزاج الأبيض فيكتب به ثم يمسح عليه بماء
العفص أو يكتب بماء العفص ويمسح عليه بشيء من الزاج ويذر الزاج أيضا وتظهر الكتابة... أو
تأخذ لبنا حلييا فتكتب به في قرطاس وابعث به إلى من تريد، فيذر عليه رماد القراطيس فتظهر
الكتابة" ²⁸ ومن المصادر الخاصة كذلك بصناعة التفسير كتاب "صناعة تفسير الكتب وحل
الذهب" للفقهاء أبي العباس أحمد بن محمد السفياني الذي يقول في معرض حديثه عن تأليف هذا
الكتاب "هذا تقييد ما أطلعني الله عليه من عمل صناعة التفسير، وما كنت أكتمه عن من لا يمنع

الانصاب ولا يدعي بتقصير، وكنت أتأمل في قول النبي (ص) حيث يقول: " من سئل عن علم فكتمه أجمه الله بلجام من النار يوم القيامة،..."²⁹

يقع الكتاب في حوالي اثنان وعشرون بابا تطرق من خلالها إلى الحديث عن عملية تسفير الكتاب بداية من عمل الدفء، وفي كيفية حزم كرايس الكتاب وفي تتخيت الكتاب، وتنشئة أصول الكرايس وفي كسوة الدفء بالجلد وفي تركيب السفر على الكتاب، كما تعرض لصفة حل الذهب في العسل وفي صفة الكتابة بالذهب المحلول وأورد عدة فوائد في شأن غراء الحوت وفي شأن غسل الجلد الذي زيتته الدباغون، كما تحدث عن كيفية صنع الجلد بالألوان، كما أفرد بابا في عمل الترنجة، ليختم كل ذلك باسداء نصائح للمتعلمين بخصوص هذه الصغة، ففي باب كيفية عمل الدفء يقول: " يعني بها ألواح من الكاغط الذين كانوا يكسوهم بالجلد على الكتاب وذلك بأن تأخذ الكاغط وتدهن الورقة بالنشا وتتركها عن يمينك، وتدهن ورقة ثانية، أعني التي تقابلها، وتنزل الوجه المدهون من الورقة على الوجه المدهون من الورقة الثانية، وتحط عليها بكفك وتقلبها للوجه الأسفل على الأعلى وتنظر هل فيه شيء من الرخوة فتمدده وتبسطه بكفيك حتى يمتد غاية الإمتداد ولا يبقى في الوجهين كماش، ولا رخو، فحينئذ تنزل الورقتين الملتصقتين بعضهما ببعض...."³⁰

ومن المصادر التراثية كذلك المتخصصة في هذه الصنعة كتاب التيسير في صناعة التسفير للشيخ بكر إبراهيم الإشييلي وهو كتاب مخطوط صغير، يقع ضمن أربعة عشرة ورقة" والكتاب في وصفه ومادته، مرتب ترتيبا جيدا، فهو يتدئ بمقدمة تتضمن الباعث على تأليفه، وفضيلة هذه الصناعة، وتسميته وينقسم إلى أبواب وكثير من أبوابه ينقسم إلى فصول بحسب الأغراض والمعاني التي تناولها وهذا تعداد أبوابه وهي عشرون: 1-باب الأداة 2-باب الأغرية 3-باب التحريم وحكمه 4-باب التقفية 5-باب التسوية 6-باب الحبك وحكمه 7-باب التبطين 8-باب البشر 9-باب تركيب الجلد 10-باب العمل في الأسفارالبوالي 11-باب طبخ البقم 12-باب النقش 13-باب نقش الضرس 14-باب الأمثلة 15-باب العمل في الأزرة والغرا 16-باب العمل في أقربة المصاحف 17-باب العمل في الأقربة المبنية 18-باب العمل في الجوامع 19-باب في النكت 20-باب في العيوب.

تبرز أهمية هذا الكتاب في تاريخ الصنائع والفنون عند العرب وتقييم الحضارة الإسلامية في المغرب بما وصلت إليه من التفوق في هذه الناحية الحضارية أضف إلى ذلك الثراء اللغوي من حيث

الإصطلاحات الفنية وأسماء الأدوات التي تستعمل في هذه الصناعة، أما فيما يتعلق بترجمة المؤلف، فهذا كل ما ورد عنه" بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي من أهل إشبيلية، يكنى أبا عمرو، أديب شاعر له رواية سعد السعود بن غفير وأبي العباس أحمد بن جون، روى عنه جملة من شعره اجتمعت به بفاس، ثم رجع إلى إشبيلية فتوفي بها عام 628 أو 629 هـ وكان يحترف بتفسير الكتب"32.

وهذا كل ما وصل إليه من معلومات مختصرة عن المؤلف، وهي تفيد بأنه من أهل الأدب والشعر، يقول بكر الإشبيلي في شأن تأليف هذا الكتاب: "فهذه الصنعة الشريفة، والبعيدة الظرفية التي بوأها الله تعالى أعلى الرتب وخصها بأن تكون حجابا لكناية المنتخب ومع شرفها فلا يحملها إلا حاملا لكتابه الكريم أو من يشارك في شيء من التعاليم وقد سلكت بحمد الله تعالى وحسن عونه، منهج الطريق، وأثبتت على كل معنى دقيق، وبوبت هذه الصنعة أبوابا، كل باب منها بفصوله كاملا يستوفي معانيه ليسهل ذلك على متعلمه - إن شاء الله - وسميته التفسير في صناعة التفسير"33

كما عثر مؤخرا مخطوط صغير الحجم (مورقات) كبير الفائدة تحت عنوان " زينة الكتبة" ترجع نسبة للعالم الكبير أبي بكر محمد بن زكرياء الرازي، الطبيب والكيميائي المعروف، المتوفي سنة 312 هـ وقد أوردت بعض المصادر إسم " زينة الكتبة" كما جاء في " عيون الأنباء في عيوم الأطباء" لا بن أبي أصيبعة، وفي "هدية العارفين" للبغدادى ، ومن المرجح أن يكون هو نفسه كتاب " حيل الكتاب " الذي أورده البيروني في فهرسة لكتاب الرازي.

يقدم الرازي في هذه الرسالة للكتاب احتياجا تهم فيما يتعلق بهذه الصناعة من أخبار مختلفة فيذكر ما يصلح منها لأن يكون حاملا لكتابه وما لا يصلح وعن نوعية الأخبار المستخدمة للكتابة مباشرة وأخرى للحفاظ الطويل، ورحلات السفر في حوالي 18 وصفة كما يقدم لهم 11 وصفة أخرى في صنع الأخبار السرية التي يبدو أنها كانت منتشرة في ذلك العهد ومنها خبر يظهر في الليل وآخر يختفي بعد مدة زمنية معينة، وعن طرق الكتابة بالدخان إلى جانب حيل أخرى.

ومن المخطوطات المتخصصة كذلك بهذه الصفة أرجوزة "تدبير السفير في صناعة التفسير" لأبن أبي حميدة، وهو نص منظوم تطرق فيه صاحبه لأهم مراحل هذه الصناعة، وهي مخطوطة جاءت من الناحية اللغوية في غاية الضعف، مليئة بالأخطاء ، مما يصعب عملية فهمها إضافة إلى عدم وضوح كثير من الكلمات وقد ورد إسم ناظمها في مقدمة أبيات هذه الأرجوزة.

التهميش:

- 1- ابن خلدون: مقدمة، تحقيق، د درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ/2002م ص: 386.
- 2- الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ج 1، ص: 35.
- 3- ابن خلدون: المقدمة ص، 387.
- 4- ابن خلدون: المقدمة، ص: 389.
- 5- ابن خلدون: المقدمة، ص: 389.
- 6- ابن خلدون: المقدمة، ص: 389.
- 7- ابن خلدون: المقدمة، ص: 391.
- 8- ابن خلدون: ص: 352.
- 9- ابن خلدون: المقدمة، ص: 393.
- 9- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 1، ص: 37.
- 10- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 1، ص: 43.
- 11- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 2، ص: 430.
- 12- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 2، ص: 431.
- 13- القلقشندي: صبح الأعشى، ج 2، ص: 433.
- 14- القلقشندي: ج 2، ص: 433.
- 15- القلقشندي: ج 2، ص: 433.
- 16- القلقشندي: ج 2، ص: 444.
- 17- القلقشندي: ج 2، ص: 435.
- 18- القلقشندي: ج 2، ص: 435.
- 19- المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، حققه وقدم له مجيب مايل الهروي، عصام مكتبة، نشر مجمع البحوث إيران، ذو القعدة، 1409هـ، مقدمة الكتاب ص 20.

- 20- المعزبن باديس، عمدة الكتاب، ص: 13.
- 21- عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، ص: 14.
- 22- عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب الصنهاجي، ص: 27، 28.
- 23- المخترع في فنون من الصنع: الملك المظفر، دراسة وتحقيق أ.د. محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط1، 1919م، ص: 22، 23.
- 24- ينظر كتاب المخترع في فنون الصنع، ص: 23.
- 25- المخترع في فنون من الصنع: الملك المظفر، ص: 61.
- 26- المخترع في فنون من الصنع، ص: 64.
- 27- المخترع في فنون من الصنع، الملك المظفر، ص: 91.
- 28- المخترع: ص 93.
- 29- صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، أبي العباس أحمد بن محمد السفياي ص: 3.
- 30- صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، ص: 05.
- 31- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد 1959-1960، المجلد السابع والثامن، ص: 04.
- 32- كتاب التيسير في صناعة التفسير، بكر الإشبيلي، ص: 06.
- 33- كتاب التيسير في صناعة التفسير، ص: 10.

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم رواية ورش.

- 1- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق. درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ - 2002م
- 2- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ - 1922م، ج 1، ج 2.
- 3- عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب: المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، تحقيق نجيب مايل الهروي، عصام مكية، نشر مجمع البحوث إيران، ذو القعدة 1409هـ.
- 4- المخترع في فنون من الصنع: المالك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول، تحقيق أد محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي الكويت، ط 1، 1984.
- 5- صناعة تفسير الكتب وحل الذهب: أبي العباس أحمد بن محمد السفياي، د (ط، ت)
- 6- التيسير في صناعة التفسير: للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي، تحقيق عبد الله كنون الحسني 1959، 1960، نشر في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السابع والثامن.

